DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.48.2025.702
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (48) November 2025
العدد (48) نوفمبر 2025

مجهول الكلام أو الصيانة اللّغويّة للعالم في (بريد الليل) لهدى بركات

م.د. سالار سليم عبدالكريم الخواجه
كليّة التربية الأساسيّة، جامعة بابل، العراق
البريد الإلكتروني: bas770.a.saleem@uobabylon.edu.iq

الملخّص

انبثق منظور البحث، هنا، من الوعي الذي كتبت به الرواية، وهو وعي لغويّ، قد رسّخ على نحو بارز ومركّز نمطا من الإيمان العميق بالسلطة المطلقة للكلمات، إذ مثّلت كتابة الرسائل جوهر هذا الوعي، فبدت عوالم مرسليها بوصفها مشكلا لغويا من جرّاء ذاكرة طويلة من سوء الفهم الذي وقع بين أطرافها فعطّل التواصل بينهم؛ ولأنّ الكلام هو الفعل الذي يخلق واقع الأشياء ويعيد خلقها في الوقت نفسه، اختاره أبطال هذه الرسائل لإعادة ترميم التاريخ الشخصي لآلامهم من البعد المفروض في قوته الحيويّة على استرجاع كينوناتهم الخاصّة، فأصبح الكلام، هو، عملهم الأخير الذي كشف بوضوحه تناقضات العالم .

الكلمات المفتاحيّة : اللغة، الكلام، بريد اللّيل، هدى بركات.

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.48.2025.702
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (48) November 2025
العدد (48) نوفمبر 2025

Language or the Verbal Maintenance of the World in "Night Mail" by Hoda Barakat

Dr. Salar Saleem Abdulkareem Alkhwaja
College of Basic Education, University of Babylon, Iraq
Email: bas770.a.saleem@uobabylon.edu.iq

ABSTRACT

The research perspective here stems from the awareness with which the novel was written, a linguistic awareness that prominently and conspicuously established a pattern of profound belief in the absolute power of words. Letter writing represented the essence of this awareness, and the worlds of its senders appeared as a linguistic problem stemming from a long memory of misunderstandings that occurred between the parties, disrupting communication between them. Because speech is the act that simultaneously creates and recreates the reality of things, the heroes of these letters chose it to restore the personal history of their pain from the imposed distance of its vital power to retrieve their own beings. Speech thus became their final act, clearly revealing the contradictions of the world.

Keywords: language, speech, night mail, Hoda Barakat.

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.48.2025.702
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (48) November 2025
العدد (48) نوفمبر 2025

المقدّمة

لا تدلّل، بريد الليل على نفسها؛ بالتجنيس الصريح الذي تطرحه واجهة الغلاف؛ بأنّها رواية؛ وبأنّها ستسحبنا طوعا نحو انتظارها من نافذة القوالب التقليدية أو شبه التقليدية التي غالبا ما تأتي الرواية محمولة في إحدى أطرها،هناك. و ليس معقولا أن نقول؛ بأنّ الأمر قد انزاح جزئيا أو كليّا عن الرتابة النوعية للأنماط الشائعة، بل يمكن أن يدعى القارئ ببساطة إلى طريق جديدة وغير مألوفة بالنسبة إلى عاداته في التذوّق والانتظار. إذ استعملت الروائية متجاوزة على نحو جريء وهادئ التاريخ الأصولي لأساليب الكتابة الروائية وقد تحرّرت من ذلك بتبني التقليد الذي ينظر إلى العمل الأدبي على أنّه كتابة وكتابة خالصة تتداول فيه الأجناس السمات الخاصة فيما بينها بالاستعارة وبالتداخل، فلم تتورّع، بعدئذ، من عسر والتباس التصنيف الذي توجّهه عادات الخط الآمن بين منطوقها الشخصي في تعريف نفسها والتطابق الذي يحرزه الوضوح الأسلوبي والفني للكتابة، إذ أنّ أحد أبرز أشكال التجاوز الأجناسي هو صعوبة التصنيف الرسمي للكتاب، فالرواية هي مجموعة رسائل كتبت بأسلوب المذكرة الشخصية أو هي سير صغيرة لأصحابها أو قصص قصيرة عنهم، وبالطريقة التي جرى فيها الحكي قد حرّرت الكاتبة كتابها من ضغط مطابقة القوالب، أي من مقولات وثوابت وكلاسيكيات لازمت فنّ ما يسمّى بالرواية، وبهذا قد صنعت جرأة المقول وخصوصية الكتابة. حتى أنّها قد فرّقت الرأي حولها بعد فوزها بجائزة البوكر العربية من زاوية المعنى نفسه، مثيرة للشكّ والحرج بعديد التساؤلات حول الرواية التي لم تتكيّف في الأصل بلغتها وشكلها ومضمونها بشروط هذا الفنّ .

إذن، هذه الرواية التي صدّرتها دار الآداب في 2018م في طبعتها الأولى أشبه بكتاب أو مفكّرة أحصت فيه خمس رسائل لشخوص مختلفين كتبوها تحت أسباب وآلام وظروف مختلفة وبعثوا بها إلى وجهات مختلفة، إلى مُرسَلٍ مناسب لم تصل إليه، أو أنّها قد ضلّت طريقها إليهم متشابهة في ذلك بمصير كتّابها الذي ظل مجهولا أو غامضا. والذين لجؤوا إلى كتابة هذه الرسائل فعلوا ذلك بمنطق الرغبة التي ولّدتها في الأساس الرسالة التي وقعت تحت يد كلّ واحد منهم بالصدفة التي أوصلتها لسبب وآخر إلى هناك. وقد وجدوا في مثل هذا البوح والاعتراف والكلام ضربا من الجسارة على الحياة التي أرهقت أقدارهم إذ أصبحت الكتابة هي الخلاص الوحيد الذي يرغم المرء على المكاشفة التي تضع الذات على نحو حاسم أمام تناقضاتها. إذ تصبح اللحظة التي تعثر فيها اللغة على نفسها هي اللحظة المناسبة التي تتعرف فيها كلّ شخصية من شخصياتها على ذاتها حتى تبدو اللغة التي يكتبون بها وكأنّها تمارس فعلا مضادا تجاه نفسها، فما تعريه وتكشفه على سطح كلماتها من أوجاع وأسرار وتفاصيل إنّما هي تنجي الذات التي تكتب من العالم وتصون عوالمها من الانهيار الذي لم يرعه سوى الصمت لمدى طويل بوصفه تلك الضفة اليسيرة أو الآمنة أو الجاهزة من اللّغة. فبدت هذه الرسائل الخمس بمثابة وثائق نفسية ووصايا حرجة طرحت أسئلتها الخاصة التي نبشت بذكاء عال سراديب الثقافة التي خلقت بوسائلها المناسبة السرّ الخاص لسيرهم الفردية ولكل رسالة من الرسائل حتى أنّهم خلقوا بالكلام قوة الفعل الذي يخصّه وقد ظهر واتضح في مجمل الخطاب الذي تأسّس تحت مستويات الكتابة. سيتقسّم البحث على خمسة محاور من منطلق المحاكاة المستقلة لطبيعة الكتابة نفسها، فكل رسالة منها هي عمل لغوي عبّر بفرادة عن تاريخ خاص ومختلف لآلامه .

أوّلا: الرسالة الأولى

من حبيب مأفون إلى حبيبته يكتب بطل مجهول الاسم ممعنا بسيرة علاقته بهذه الامرأة التي صارت أفقا مناسبا للكشف عن الباطن السرّي لماضيه وحاضره معا. إذ أعاد النظر بلغة واضحة وبأسلوب حادّ بسلسلة من اللحظات العاطفية التي شكّلت سلوكه المضطرب في علاقته مع الآخرين، أو بالآخر على اختلاف المعنى الذي تنتجه هذه العاطفة أو تلك. فكانت مرّة أمّه شبه الغريبة ومرّة امرأة يحبّها ولا يريد أن يحصل عليها وفي أخرى رجل عابر

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.48.2025.702
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (48) November 2025
العدد (48) نوفمبر 2025

تخترق ظلاله الأثير إلى غرفته الشخصية. فظلت دورة الكلام تتوجّه من جهة الإشارة البارزة لهذا الطرف أو ذاك التي خلقت إيقاع الكلام وتنويعاته ودرجاته. يفتتح الرسالة بالكلام عن رسالة مفترضة أراد أن يكتبها يوما ولم يفعل، بينما يكون قد كتبها الآن في غير موقعها ولغير متلقيها المناسب، إلّا أنّها اللحظة المناسبة للنظر إلى تلك القصص التي لم تعدّ في حدود مجرد الذكريات إنما أوجدت ذاته نفسها، ومواجهة العالم عن طريق روايته وتفتيته بالكتابة عنه . فبدأ من الجرح الأول الذي تأسّس على وقع التعاكس الدلالي النفسي للفعلين (لا تخف . لا تبكِ) فبقي خائفا ومطاردا قد لجمت في نفسه رغبة البكاء إلى الأبد. فانبت لغة الرسالة على المفارقة بين الوصيّة التي حملها الفعلان والخلاصة التي كان الخوف هو مجهول الكلام الذي طبع مع تداعياته لغة الرسالة. قائلا: (وأنا ينبغي لي القول، خائفٌ، مرعوب، وحيد ، مستوحش، وعدائيّ مذ تحرّك القطار. وعندي رغبة عميقة في إيذاء شخص لا أعرفه، حتى لا أجد له أعذارا. شخص ليس أي نوع من الصلات به، أطلق رغباتي من دون استعمال عقلي، إذ يبدو لي أحيانا أنّ عقلي و عدوّي الأول_ 9) ههنا، قد وجدت حياته الباطنية طريقها إلى الظهور لأنّها قد امتلكت اللغة التي ستتيح لها أن تقول وتحكي وتتكلّم () وكأنّه يريد أن يقول لنا بلغة عدوانيّة أن الضرر الذي سببه شخص ما هو لا يريد اسقاطه على شخص ما، لم يكن درسا أو ثأرا أو نقمة إنّما قد صنعت تلك اللحظة بأفعال كلامها كينونة النسخة التي أصبح عليها،الآن، التي شرح احتمالاتها بوضوح بـ(لا تخف، لا تبك)، إذ تصبح " الكلمة أو العلامة التي يستعملها الإنسان هي الإنسان نفسه "[1]، حتى صار يؤنّب حبيبته في ما لم يستطع أن يفعله مع أمّه التي رفض أن تشغل مكانها بأي معنى حتى لو ألمحت إلى أرقه على سبيل المثال يتذمر ساخرا (هل ما زلت لا تنام جيدا؟ هل عملت بنصيحتي وشربت نقوع الأعشاب الذي وصفته لك؟ - 14) أو إلى عادتها الشهرية التي تأخّرت (ماذا تريدين؟ أن تصبحي أمّا؟ أن تصبحي أمّي؟ ما تراه يغريك بهذا الدور؟ - 17)، فالصراع الذي يدفعه عن نفسه متهما به المرأة التي يخاطبها، لا يتمكن حتى من إرجائه إلى مدى بعيد أو مبهم؛ لأنّه يبحث في أصل نفسه عن شيء ما، بل يطارد رغبة تطارده باحثا عن الحقيقة. وهذا البحث هو تأويل مضمر لهذه الحقيقة التي لن تظهر أو تصل بغير اللغة [2]. ليعود بعد كلام قليل إلى تذكيرها بلغة أهدأ نبرة كلما أراد أن يستأنف الحديث عن تلك الحادثة التي ملأت ذاكرته أو كلما أراد النظر إلى الداخل (خذي قرارا وأعطيني فرصة أن أشرح لك، ربّما بقليل من التفاصيل، إلى أين ذهب بي قطار الريف ذاك. أعني كيف، وبأيّ سرعة نسيت المرأة التي وضعتني فيه . وإلّا فكيف كنت لأبقى في تلك المقطورة التي تبتعد بي لا أعرف إلى أين. نسيتها فورا. وهي أيضا نستني- 17)، حين يصبح النسيان ضربا من ضروب الصمت المؤقت أو الكاذب تغيب اللغة مؤقتا أيضا إلّا أنّ المتكلم هنا تقوده اللغة عمدا إلى تكذيب النسيان بالتذكّر فتكون كلمة (النسيان) هي برهان اللغة على قوة التذكّر والحضور والظهور بل نجد أن الخطاب المستتر للرسالة هو استئناف لتلك المنطقة التي نسي فيها الكلام أو هي إعادة إدراك لغوي لما تعذّر التعبير عنه سابقا. إذ لا يكون الكلام هنا بوحا عاطفيا عن نفسه إنّما يستعيد به(بالكلام) تلك النفس المكبوتة إلى الشرط الإنساني، أي إلى الفرصة الفريدة والخاصّة في أن يوجد من جديد الذي لا يتاح بغير اللغة التي ستكشف هيئة خطابها عن هويته هو، إذ " لا شيء يسبغ على الإنسان الوعي بنفسه وبما في العالم سوى تسمية الأشياء كلها كبيرها وصغيرها، فالكلام واللغة من جهة الوظيفة كالوعي سواء بسواء "[3] حتى يمكن أن نقول بأنّ اللغة، هي، البطل الأصيل الذي يحمل لغز الرواية . فنرى أن مرسل الرسالة قد وجد في الكلمات لعبة مريحة سيواصل بمقتضاها إثارة الحياة في نفسه بمقابلة شخوص هذا العالم في مكان جديد يقول:(لكن، حين شممتُ رائحة الثوم في "البيت" قرّرت أنّ تماديك أصبح في حاجة إلى وقفة؛ إلى جردة شاملة. أن تقلي بيضا، أو تفتحي علبة سردين، لا بأس. لكن الثوم؟ الثوم يعني طبيخا، استيطانا صريحا، لا شرعنة لأي مقاومة ضدّه. إذ من يقاوم امرأة تقبّل فما يفح برائحة الثوم. ترضى بروائح الرجل الكريهة، وتغسل ملابسه الداخليّة أو جواربه النتنة بسعادة. من يقاوم أمّا يعرف تماما أنّها تريد أن تأكله؟ -19) دلالة أن توضع كلمة البيت بين ظفرين هي الإشارة الرمزية لكل تلك الظلال النفسية التي حملتها اللغة التي يكتب بها التي بلورت حدوده تلك اللقطة التي قُلع فيها من بيته ووضع في قاطرة التي لم يصل بعدها إلى مكان ولم يبحث بعدها عن بيت

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.48.2025.702
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (48) November 2025
العدد (48) نوفمبر 2025

الذي تاه بعده عن كلّ بيت إلى الأبد. استعارة رائحة الثوم في دلالة التعبير عن معنى الإقامة ،الأمان ،الاعتراف والثبات هي مطابقة حسية مع ذاكرة الحادثة الأولى التي يختبر باستفهاماته ،هنا، حساسية المعنى من وراء الرائحة؛ فإنّ استعمال كلمة (أمّا) هي بدل غلط من كلمة (حبيبة). " وبهذا تكون لغة الغرام هي الاختبار النهائي للكلام "[4] الذي تكشّف به منطق الذات عن نفسها: (تبدين قادمة من عصور بائدة على الرغم من كلّ ادعاءاتك؛ قادمة من المنطقة الفارغة، من الجانب التافه، من الشرفات التي حنّطت شحوب نساء مسلولات، موقوفات في نيون قمر مجلّد كالسمك المجلّد، في حين كانت النساء الأخريات يمتصصن دم الفارس المنتظر ليعدّلن في تركيبته، وليَضْخُخن ماء النار في جمجمته، وكي يصبغن فرسه الأبيض بالكحل والمساحيق الثقيلة الملوّنة، ويفرقعن بالضحك -23). إنّ الكتابة بلغة شعرية خالصة هي خلاصة للقول الذي لا يقال أو هي أقصى ما يمكن أن يقال حين تفيض اللغة من حدود الممكن أي تتجاوزه. بدا المقطع وكأنّه قصيدة مستقلة إلّا أنّ لغة هذه القصيدة لم تنفصل عن جماليات أسلوب الرسالة المطبوع بالسخرية والغضب والقساوة، التي وضعت المتكلم موضع الضحيّة العصابي: (كنت أريد أن أسألك كيف هان عليك كلّ هذا الغرام؟ هذا الغرام النادر. وتلك الرغبة في أن أضاجعك عشرات المرات، مئات المرات، ألم تلمسيها؟ كيف ينفلق صدري ويجنّ نبضي حتى أكاد أختنق؟ كيف كنت أنصاع لحركة جسدك كالخادم، أو كالعبد؟ كيف أقبّلك من أصابع قدميك حتى أطراف خصلات شعرك؟ كيف أتأمل كامل مساحة جلدك المضيء، حتى حفظت مكان أصغر شامة ولونها وأنا مغمض العينين؟ كيف اعتبرته ناقصا، هذا الغرام؟ مأساة. هذه مأساة، إذ هذا كل ما عندي. رغبة خالصة، كاملة ناجزة ولا تنقص. -20) هذا الاستنكار الذي تحمله الأسئلة الذي يستوضح موقفها من الشعور بعدم الاكتفاء بعد أن بسط لها الأسباب المانعة بشفافية وبراءة وشاعرية نفهم من سياقها الذي حوّل المتعة الشخصية إلى منحة والرغبة إلى هدية خالدة لا تردّ. إذن، يتحول الكلام هنا إلى وسيلة دفاع جديّة عن الغرام الذي يعنيه لا الذي تبحث عنه قاطعا الطريق عن أي احتمال آخر وهو يكرّر كلمة (مأساة) بوصفها العلامة التي تعبّر عن شرعية وصلاحية تساؤلاته و واقعيتها .

الرسالة الثانية :

هذه الرسالة من امرأة عاشقة تجاوزها الشباب وتقدّم بها العمر، إلى حبيب قديم، تنتظر لقاءه في فندق صغير بعد أن تباعدت بينهم السبل وانقطعت. إلّا أنّها لا تكتب الرسالة للتواصل او بوصفها وسيلتها الوحيدة في ذلك، إنّما اندفعت إلى كتابتها من طرف مواصلة الرغبة التي وجدتها في رسالة رجل الرسالة الأولى وقد حيّرتها أسباب وصولها إلى درج غرفة في فندق رثّ وصغير مثل هذا. تفتتح رسالتها بجملة (ذلك بسبب سطوة النعاس) التي تصور لنا حدود الانسجام بين الكاتب والمكتوب، أو أنّ لغة المكتوب ستكشف لنا الكيفية التي يُرى فيها العالم وينظر فيها إلى أشيائه من موضع ذبولها وانتفائها الذي أوحى به فعل كلمة النعاس، بين اليقظة والحلم، التذكر والنسيان، الحضور والغياب، الموت والحياة...الخ. ولم تتحفّز للكلام من فتنة اللغة نفسها بل؛ لأنّ هذه اللغة قد كشفت لها عن رجل مجهول يشبهها قد وجد في الكتابة ما يوهم فراغ العالم بالامتلاء:(ولأنّ وحشة ذلك الرجل، كاتب الرسالة، تشبه وحشتي كثيرا...ولو أن حكايته لا تشبه حياتي في شيء. لكنّي أحسست بشكواه كأنّي صديقة قديمة، أو كأنّي أنا نفسي المرأة التي يتكلم إليها، ربّما بسبب ما تمنيّت قوله له، ورغبتي في أخذه بين ذراعيّ. كم هذا غريب. لأنّي لم أحبّها أبدا تلك المرأة، ولو التقيتها يوما، وهذا مضحك طبعا، فسأعاتبها بقسوة-33).

فوقعت كلماتها بهدوء وحملت آلاما ناعمة ومتشبّعة بالعاطفة وبقوة الكلام وسطوته وتأثيره وكأنّ العالم لا يصان ويعتنى به إلّا بما يحكى لنا و ما يمكن أن نحكيه(كأنّي أنا نفسي المرأة التي يتكلم إليها، ربما بسبب ماتمنيت قوله له). وقد تكرر فعل الرغبة بالكلام على نحو ملحوظ هنا من فعل الشعور بالوحدة التي لا تستدعي الحاجة إلى الناس إلّا الحاجة إلى تكليمهم. تقارن بين زمنين من ذاتها بين طبيعتين قد اختلفتا وتناقضتا: (كنت سأقول لك كيف أنّي لا انتظر أعني حتى عند طبيب الأسنان. أعني وأنا أنتظر أنام. أغفو فعلا. لم أكن هكذا من قبل، كنت نافذة الصبر وأتوتّر حين يتأخر من واعدني، وأروح أرصف في رأسي كلمات العتب أو الغضب. صرت منذ مدة أنسى

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.48.2025.702
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (48) November 2025
العدد (48) نوفمبر 2025

من أنتظر، ولماذا أنتظر من أنتظر، ثم تثقل جفوني. وإن كنت في مقهى، مثلا، أغرق رأسي بين كتفيّ وأنزل، أغوص في الكرسيّ، وأضع حقيبتي على بطني كمن يتلحّف بغطاء، وأنام. ليس نوما كذلك اللّيلي العميق، بل غفوًا إلى الداخل حيث يختفي النهار الخارجيّ تمامًا. أو كحال السُّكر الشديد...سأرغي بالكلام لأسلّيك، وأيضا لأنّك ستسألني إن كنتُ ضجرتُ وأنا أنتظرك، مرتبكا ومعتذرا عن التأخير بسبب العواصف الثلجيّة. إذ ما الذي ستجده من كلام حين تدخل الغرفة وتنظر إليّ، ثم تراني، هكذا وحدي: كبيرة في السّن ومختلفة. أعني بعد كلّ هذه السنين. وأنا كنت سأبحث كيف أطلق كلامي، ومن أين -34)؛ تتداعى في حديثها وتنساب بلا تكلّف تفهم ما يجري في الأشياء من عقدة التصاقها بالكلمات، فما يحيا أو يجب أن يحيا هو ما يمكن التعبير عنه وما يمكن خلقه بالكلمات، لغة قد تخفّفت من وطأة الألغاز البلاغية تعكس كينونة المحمول و أوضاعه النفسية بما أتيح لها من " إقامة ارتباط وثيق بين مضامين الأنا والبقايا الذاكرية من الإدراكات البصرية "[5] فإنّ ما تكتبه الآن، هو، ما يستثار من جهة العاطفة التي ارتبط بها واستعصى حذفه على الذاكرة :(أنا مثلًا أذكر جيّدا أنّك قرّبت رأسك من رأسي مرّة وكنّا جالسين على الأرض تحت شجرة، واعتقدت أنّك ستقبّلني لكنّك لم تفعل، بسبب أنّي لم أقرّب فمي؟ البنات عندنا لا يقرّبن شفاههن-42) حتى أنّها تنفي كلّ تصور حول إمكانية نسيان ذكرى أخرى سوى أنّها قد اكتسبت خلدوها من ارتباطها بعاطفة ما أي بالطريقة التي تتحرّك بها غالبا ذاكرة امرأة : (لذا، ستكون كارثة إن أنت لم تتذكّر ذلك المشوار إلى الجبل. أعني مشوار الأكيدنيا. وسأصاب بخيبة أكيدة، إذ لن أجد مشاوير أخرى، أو أشياء عملناها معا وكانت مفرحة إلى هذا الحدّ، أو حتى غير مفرحة. وقد لا أجد شيئا أتذكّره، بالمرّة. وسيكون عليك أنت، إذ ذاك، أن تروي لي من جديد ما تتذكّره وبتفاصيل أكثر، لتساعدني قليلا على اختراع الكلام. إذ سيكون علينا أن نتكلّم- 42،43)، فإنّ " لغة العاشق كثيرة الكلام " [6] ؛ وبأنّها لن تجد داعيا أو مبرّرا لوجودهما معا خارج تلك القوّة التي يقترحها الكلام. والعالم لا يوجد بالنسبة إليها إلّا من جهة هذه الإمكانية التي تجعل من اختراع الكلام عملا واضحا وصالحا ومفهوما بأن يتواجهان من جديد، فحين تشترط اختراع الكلام إنما تشترط اختراع الكينونة المناسبة لها التي لن توجد إلّا باللغة التي ستمارس سطوتها على الزمن.

ولأنّ " الإصغاء العاشق هو في النهاية صورة كل إصغاء أصيل "[7]، تلقى في رسالتها براحا واسعا كي تسترسل في سرد قصصها حتى تبدو وكأنّها تطرّز الكلام تطريزا وهي تلمس بخفّة ونعومة تلك التفصيلات الدقيقة في الكتابة : (كنّا سنضحك كثيرا لو أنّي رويت لك حكاية الفراش، أو الصليب، ذلك لأنّك قد أصبحت في عمري أنت أيضًا، طبعًا، أو أنّك تكبرني بسنوات قليلة. وسنتذكّر بعد هذا الضحك، ربّما، كم أكلنا من كمّيّات الأكيدنيا ونحن نمشي في الشوارع، ثمّ استمررنا في أكل الأكيدنيا في السّيارة التي حملتنا من ساحة البرج إلى الجبل، لم أعد أذكر أيّ جبل، كي تلتقي صديقا لك. وحين وصلنا، رحت أنا أبحث عن تنكة زبالة أو برميل أُلقي فيه كيس النايلون المليءَ بفضلات الأكيدنيا. لا أتذكّر من هذا المشوار سوى زهقي من التفتيش عن حاوية نفايات وكفّاي ملتصقتان بدبق النايلون. لا، ولكنّي أتذكّر أيضًا طعم الأكدينيا؛ ذلك الذي لن يعود أبدًا بمثل تلك الحلاوة- 40،41). يصبح فعل التذكّر، هنا، هو الخيط الذي تجرّ بوساطته ذاكرة ما تحكيه، وسيكون ، أيضا، بمثابة الدال الذي يعمل على تقسيم وتجزئة وتنسيق الحكاية، وسيكون في الوقت نفسه هو مركز الشعور الذي يتخلّق بتكراره الإيقاع والقيمة لمعنى ما تتكلّم عنه في هذه اللحظة. وهي بتلك الكلمات التي تصوّر فوقية اللغة التي تكتب بها من حيث مشابهة المضمون الذي تقصده. فيبدو الكلام وكأنّه مرتجل من إيحاء اللحظة التي تكتب فيها الرسالة وتعيد فيها قصّ تلك الوقائع القديمة وليس خارجا من تصميم واختيار مسبق للمراد قوله [8].

وعلى هذا النحو تكشف لغة هذه الرسالة شكل الذاكرة التي تكتب منها التي لن تعرف بغير الكلام وسيلة لإثبات الحياة في الزمن، وقد أقرّت برغبتها فيه في كلّ موضع واشارة : (لا،لا، سنتكلّم في أمور مفرحة؛ ربّما عن تلك الأيام الربيعيّة الجميلة حين التقينا-44)، (دعك من عبدالحليم. سنجد كلاما كثيرا عن أمور نعرفها نحن معا - 45)، (أيّ شيء في هذه الغرفة قد يكون مدعاة للكلام، للحديث اللطيف- 45)، (مع هذا، علينا أن نتكلّم، خصوصا في ربع الساعة الأوّل، حتى لا نبدو متفاجئين من مناظرنا حتّى الخرس، وكيف تبدّلنا هكذا وكبرنا... -

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.48.2025.702
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (48) November 2025
العدد (48) نوفمبر 2025

46)، تتأكّد الحاجة الى (الكلام) الذي يستدل به على انفعالها الخاص إزاء من تكتب له الذي خلق وتيرة للغتها وحسّها الجمالي في الكتابة .

الرسالة الثالثة :

يتحول إيقاع اللغة وشكلها ونمطها مع كل رسالة جديدة من مرسل جديد يكتب حول موضوع يخصّه. فتبدو كل تلك التجربة الشخصية وكأنها مختزلة أو متبلورة في صيغة مشكل لغوي، أي أنّها تصبح في حدود مجرد اللغة التي تبسّطه. تكتب الرسالة الثالثة في مطار من مجرم يريد إرسالها لأمّه يروي فيها سيرته بعد أن تقلّبت به الأقدار التي حوّلته من ضحية إلى قاتل متمرّس، فتبدو الرسالة وكأنّها بيان نفسي مفصّل عن ذاكرة من التعقيدات التي ارتكز عليها جوهر الكلام الذي تعددت الحاجة إليه ، فهو، خطاب عاطفي لأمّه وهو، بحث اجتماعي في الكيفية التي تصوغ انحراف المرء من فرد عاديّ إلى مجرم خبير، وهو، أيضا_ وهذا ينطبق على مجمل الرسائل_ ضرب من المواجهة الشخصية مع الذات وتحرير هذه الذات بالكتابة التي ستفسّر لنا لغتها مضمون هذه الذات، في الوقت نفسه. وذلك لأنّ " اللغة بمجرد تسميتها للأشياء تتيح لها الخروج إلى الوجود "[9] بمعنى أنّ ما نعبّر عنه هو موجود في حدود اللغة التي يعبّر بها عنه، فالكلام عن الشيء هو الوجود الفعلي لذلك الشيء. ومن منطلق هذا المعنى تصبح الصيغة التأويلية لتعليل الرغبة بالكلام لمرسلي هذه الرسائل مستساغة التفسير والفهم. يقول من التباس وخطورة الموقف الذي يدور حوله :(أمّي الحبيبة، أكتب إليك من المطار قبل أن يأخذوني، وقبل أن أصل إلى حاجز الأمن العام، فهم يراقبون كلّ حركة خوفًا من الإرهابيّين، بدءا من باب الدخول الرئيسيّ. يدورون في مختلف الأنحاء بلباس مدنّيّ ... -49) ثم يكرّر بعد سطرين (أمّي الحبيبة، لا أدري إن كانت رسالتي هذه ستصل إليك، والأحرى أنّي لا أعرف كم من الوقت في استطاعتي أن أبقى هنا. كم من الوقت ، لا أدري -49). لم يكتف بالتصريح مرّة واحدة على نحو العادة بالمرسل إليه، أي إلى الجهة التي ستصل إليها هذه الرسالة، يوعز تكرار جملة (أمّي الحبيبة)، بتعاظم المشاعر نحو المخاطَب على نحو لا واع منه بأنّ التأكيد عليه يعمّق من إرادة المقصد من كتابة الرسالة، فهي الشخص الذي استلزم نفسه بتبرير أفعاله إليها. فاحتمل كلامه من البداية ضربا مزدوجا من اللباقة المختلطة بالقلق، فأوحى بها بما يضمن لمخاطبته نوعا من الاطمئنان عنه وبما يؤكّد لها فرادتها بوصفها الشخص الذي قرّر مكاشفته في تلك اللحظة الحرجة من الموقف : (هذا لا يعني أنّي أكتب إليك كي أبدو منشغلا .لا. أنا أريد إخبارك بما حدث معي قبل أن تعرفي من غيري. وأنت تصدّقينني، يا أمّي، كما فعلت دائما. لا . ليس دائما-50)، (لكن إن أنا كتبت إليك، فستعرفين، على الأقلّ، أنّك غالية على قلبي، وأنّي في هذا الظرف الصعب أفكّر فيك. هذا أضعف الإيمان. وهي ربما طريقتي الوحيدة كي أعتذر إليك...ولو أنّك لن ترحميني، كما كنت دوما. لم ترحميني، منذ أخذوني من البيت أوّل مرّة. قبل خروجي معهم وهم ينهالون عليّ بالضرب، قلت لك إنّها قضية حشيش، وما من داع لخوفك. لم تصدّقيني. لم تصدّقيني وبصقت في وجهي. ربّما أردت إفهامهم أنّي فتًى مهذّب، أحسن أهلي تربيتي، ويبصقون عليَّ لأنّهم مواطنون صالحون يصدّقون العساكر-50). من هنا، سنألف الروح الدراماتيكية في طريقة الحكي التي تتناوب على طبيعتها ألوان كثيرة من الأحاسيس الإنسانية. التكرار الملتزم للكلمات والجمل التي تتراجع عن المعنى الذي تثبته بالتكرار، فتوحي على نحو واضح باضطراب الذات المتكلّمة وتداعيها.

إذ أنّ " الكلمة ليست علامة ولكنّها عقدة دالّة "[10]، لأنّها لا تنتج المعنى من حيث هو طبقة مستقرة واحدة ، إنّما قادرة ، بالطبع، على إنتاجه داخل فضاءات متنوعة تتفاعل ضمنها وكأنّها جزء أصيل من مصير ذلك المعنى الذي يتولّد على نحو خاصّ في كلّ مرة. وهذه الفرصة لا تخلق على نحو بارز وقويّ في غير أفق اللغة الأدبية، وهذا ما يلحظ، هنا، من استعمال وإعادة استعمال الفعل (ضرب) يقول: (منذ أخذوني من البيت أوّل مرّة. قبل خروجي معهم وهم ينهالون عليّ بالضرب، قلت لك أنّها قضية حشيش-50)، (لا أدري الآن إن كان ضربُ أبي المتكرّر، بالحزام الجلديّ أو بالعصا، قد أفادني، أم أنّه على العكس-51) ثم يقول في السياق نفسه: (حتى الآن

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.48.2025.702
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (48) November 2025
العدد (48) نوفمبر 2025

يؤلمني جسمي من ضربه لأنّي كنت صغيرا وبريئا. لم أفعل يوما ما كان يستحق ذلك الضرب. كان يضربني دائما أمام الناس. يجرّني خارج البيت ليُري الناس أنّه يضربني-51)، (إذ لم تحميني مرّة منه. لماذا؟ لأنّه سيضربك معي، أعرف- 51)، (كان أبي يضربني بمزاج وقناعة، كأنّه يهيّئني لكلّ أشكال الضرب التي ستأتي-51)، ما يبدو لنا من ذلك هو تلك الصور المتعددة لمعنى الفعل نفسه، من مجرد فعل يوحي بالضرر والأذى الذي يطال الجسد وهو في سياقه منسجم مع الصيغة الرسمية للروح الأمنيّة التي تنتهجها السلطة الاستبداديّة عادة وهي تمارس عملها على أنّ الضرب لمن تعتقل هو تحذير لمن يشاهد وليس لإرباك وإهانة المعتقل فقط. لينجز فعل الضرب بوصفه عملا تربويا وهو، عندئذ، يصبح مبرّرا أخلاقيا واجتماعيا، إلى البعد الذي يخفي فيه الضرب معنى الشكر؛ على أنّه أصبح مقبولا نفسيا ومؤثّرا بوصفه أمرا قدريا مارسته الأبوّة من طرف شعورها اللاوعي بتلك الحتمية.

إذ يدور الكلام في رسالته حول طرح تساؤلات وجودية واجتماعية وأخلاقية للتخفيف من وطأة المصير بأن يعدّد من الجهات المسؤولة عن خلق أسبابه، وليس، ذلك، بحثا عن الغفران أو الشفقة، إنّما هو شجاعة خاصّة وضرب من التصرّف النبيل بأن يقول لأمّه ما يمكن قوله، بأن يتكلّم في ذلك التوقيت الحرج، هو، شكل الخلاص المناسب والأخير : (لا أندم على شيء، إذ يجب أن أعرف ما هو الشيء الذي ينبغي لي أن أندم عليه، وأنا حتّى الآن لا أعرف. لا أدري ما كان في داخل أوراق الاعترافات والندم التي وقّعناها بالدم، كما طلبوا منّا. ثم علام أندم إن كان ليس أمامي خيارات كثيرة... ربّما يجب أن أندم على مبالغاتي في استعراض قوّتي على المعتقلين، أو على وشاياتي الكاذبة بحقّ أولاد الناس. لكنّ الله يفهم أنّي كنت مجبرًا، لكنّه ربّما سيقول لي إنّي كنت أستمتع بأفعالي وأفخر بها... هذا صحيح، وحينها سأسأله: ما الذي أدّى بي إلى ذلك؟ وأنت لماذا تركتني ولم ...؟ -62). إذ تؤدي اللغة وظيفة مزدوجة، هنا، فما يبدو معقّدا وعسيرا في سياق يحمل انفراجه في سياق آخر، إذ يجري الكلام على نحو لا يستدعي التوضيح. فهو يقترح بتفلسف الإجابة المناسبة قبالة السؤال المناسب ، هكذا يتعسّر النقاش وينفرج ويدوم داخل حلقة مفرغة من دفع الذات عن الشعور بالذنب والندم. إذ بهذا " لا تعود الحكاية متمحورة حول شخصياتها بل حول ما يحملها. وتصير اللغة موضوعها "[11]، يقول : (لا ينفع التفكير، ولا التردّد. حتى عندما نذهب إلى أبعد ممّا طُلب منّا، كما حدث معي وأنا أضرب أحد المتفلسفين العملاء، فطارت الهراوة من ظهره إلى رأسه فأعطاكم عمره. قال الريّس: ضع عليه رقما وألقه بعيدا. فهمت بصورة نهائيّة، أنّ الله غائب عن هذا العالم السفليّ، وأنّه ترك لنا القيادة. إذن، له في ذلك حكمة، فأنا مؤمن. وهو من مدّني بهذه القوّة التي غدت جبروتا لأنّه هو المخطّط لكلّ شيء منذ البداية، بداية كلّ شيء، حتى ولو لم تفهم عقولنا الصغيرة هدفه العظيم. لذا، أنا مطيع لمن مرتبتهم فوق مرتبتي. وإن كانت لا تكفي الطاعة، فأنا من الذين يبلون بلاءً حسنا بمبادرة منهم تستبق الأوامر- 57). هذا التأويل العقلاني الخاصّ لأفعاله ولجوهر ما كان عليه وكأنّه يبرّر بلغة مجرّدة من الغموض والالتباس الطبيعة المنطقيّة لمساره. فعندما أقرّ بلا نفعية التفكير، إنما قد استبعد كليّا كلّ احتمال للاختيار، فكان الكلام مجرّدا من كلمات الشعور بالألم أو الذنب أو الغضب. ولم يكن هذا استلاما مطلقا للشرّ، إنّما هو عامل من عمّال عالم الشرّ الذي نفى بداهة أن يكون الله جزءا منه بوصفه خيرا مطلقا؛ ولأنّ الخير، هو، أصل العالم فإنّ الشر هو مسألة على هامش هذا الأصل. فعندما يذكر الهراوة التي قطعت رأس المتفلسف ثم جملة الرئيس الباردة التي لم توثّق أية زيادة مجازية توحي بمبالغة الفعل (ضع عليه رقما وألقه بعيدا) قد قطع عندئذ بجملة حاسمة مع نفعية التفكير؛ وذلك لأنّ ما يفعله قد اكتسب طابعا ميكانيكيا، فهو يؤدي لأنّه يؤمر، لا لأنّه ضحية بل لأنّه مؤمن. قد فسّر بلغة قدريّة المرجعية الغيبية لطبيعة العالم الذي ينتمي إليه.

وبفعل نظرة الروائية الرشيقة إلى اللغة قد تكرّست تلك النظرة بمواقف شخصياتها وحواراتهم التي كشفت في مواضع كثيرة عن وعيهم الخاصّ بفعل الكتابة أو الكلام: (وفي المساء حين تعود تجدني منكبّا على الكتابة، أخربش أيّ كلام بالعربيّة فأحرمها لمسي، قائلا إنّي أؤلّف كتابا عن الحرب. صار الكتاب الذي أؤلّفه ذريعةً عظيمة، فأنا مشغول بالأفكار وبالذكريات والأسرار المهولة. وتشلّني المشاهد العنيفة، التي تعاودني غصبًا عنّي،

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.48.2025.702
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (48) November 2025
العدد (48) نوفمبر 2025

عن ممارسة الجنس، لا بل هي تجعلني بعيدا تماما عن عالم الرغبات كلّها. هكذا أردّد لأبعدها. لم يدم الهناء طويلا. صارت تكرّر أنّ الكتابة عظيمة، لكنّ الكلام هو الدواء، وينصح به علم نفس الصّدمة في علاج المصدومين. يجب أن أقول وأبوح وأتكلّم حتّى يرتفع عنّي هذا العذاب. يجب أن أكشف بواطني، وأسمّي الألم والقلق كي أستريح .-67).

الرسالة الرابعة :

تخلق الرسالة الرابعة وتيرة مختلفة للكلام الذي يرسل من أخت لأخيها، بعد أن دفعت على نحو ما بأن تصبح مومسا مع خدمة العمل في البيوت والفنادق. تبدو هذه الرسالة التي تشرح مرسلتها الخلاصة الموضوعية والشخصية للظروف التي وضعتها في هذا الموضع؛ وكأنّها تواصل الحديث عن محنتها من منطلق المصادفة التي تضمنت لقاءها بمرسل الرسالة الثالثة الذي كتب لأمّه رسالة أخيرة من المطار، بعد أن اقتيد من على متن الطائرة قبل إقلاعها فوقت تلك الرسالة بيدها. فكأنّها تواصل الكلام عن آلامه من البؤرة نفسها، إذن. فما الذي يدفع امرأة أن تكتب بصدق وشفافية عالية رسالة لأخيها تكشف فيها عن طبيعة العمل الذي تمتهنه؟ وهنا، يمكن القول بأنّ من يكتب أو من يستعمل اللغة هو لا يخبر أو يعلم أو يعلن، إنّما، هو في الوقت نفسه، يكرّس الحقيقة المناسبة من طرف المعنى الذي تنتجه طبيعة الكلمات المستعملة، أي من المنظور اللغوي الحصري لمن يكتب أو يتكلّم. فكأنّها وبموقف لاشعوري منها، أرادت اظهار سلطتها على الواقع بفعل القوة السلطوية للغة لا بفعل الشعور بالخسران المطلق لهذا الواقع : (فكّرتُ في الكتابة إليك لأنّك عرفتَ ما تصفه بالحقيقة. معك حقّ، إلى حدّ ما، لكنّ الحقيقة الصافية هي غير ما تعتقد. كلّ الناس لديهم أسرار، ويجب أن تساعدني لما فيه مصلحتنا نحن الاثنين_ 75)، فإنّها تبدأ من الإشارة العميقة لإثارة الشكّ بادّعائه حول معرفة الحقيقة؛ بأنّ هذه الحقيقة ليست خبرا أو اتصالا يتوثّق بقوّة مصدره الأخلاقيّة، إنّما الحقيقة الصافيّة بالكيفية التي ستعبّر بها وبما تقول.

ولأنّها امرأة وأمّ وضحيّة، قد بدا موقفها الأخلاقي عاطفيّا إزاء مرسل الرسالة السابقة بلغة بسيطة بلا تكلّف : (الأمّ، آخر قلب للإنسان في الحياة. وأنا فقدتُ أمّي، كما فقدها رجل الرّسالة الذي سيمضي كلّ الأيّام المتبقية من حياته في السجن المؤبّد. سيبكي في اللّيل أمّه وحيدا، بعيدا وغريبا. هذا أيضا إنسان قضت عليه الأيّام، ولن يرحمه لا الناس ولا الله .

ولأنّها أمّنا، أي أمّك أيضا، ها أنا أكتب إليك يا أخي. والحقيقة أنّي أنا فقدتها قبل أن تموت_ 76). إذ تعمل على توريطه عاطفيا وتوقظه من موضع الثقل الدلالي لكلمة (الأمّ)، التي تفتتح بها الكلام، بصيغة مستقلة وتعرّفها على النحو الذي يمركز النقاش حولها، وكأنّها تمتصّ غضبه وتوجّه النظر نحو أمر لا يمكن تجاهله أو إهماله. فهي لا تشكو من فقدانها فقط، إنّما لا تحمّل سواها رداءة حياتها وسوء المصير: (بكيت بحرقة على حياتي وقرّرتُ أن أشتغل مومسًا؛ شرموطة وعاهرة. ما الفرق بين امتهان و آخر؟ وحده المال سيرفعني قليلًا عن روائح المراحيض وأوساخ الحضيض، بما أنّ أمّي، أمّي التي هي أمّي، بدأت تضطهدني... كنت أنت قد أصبحت في السجن، وأنا احتفظتُ بعملي بنصف دوام في الفنادق كتغطية_ 78). إنّ تكرار المعنى الذي تؤكّد به امتهانها لهذه المهنة بالصيغتين المعجميّة والمحليّة، يدلّ بأنّ " اللغة هي مصدر الألم"[12]، وأنّ الكلمات قد لا تجرحنا بالحدّة نفسها في كلّ مرة؛ وكأنّها تريد أن تقطع الطريق عن كل تصوّر يمكن أن يجعل من إساءة الفهم أمرا ممكنا أو محتملا. إذ تعيد بناء علاقتها بالواقع وبشخوصه على النحو الذي وجد به المعنى في اللغة أوّل الأمر، (بما أنّ أمّي، أمّي التي هي أمّي بدأت تضطهدني)، فما تعذّر فهمه على اللغة، تعذّر تبريره بمواضعات الأعراف والتقاليد والمثل؛ من منطلق أن هذه الثقافة الاجتماعية إنّما هي عادات لغوية في الأصل قد تكرّست على النحو أو ذاك . ولهذا فإن اللغة التي تستعملها في التعبير عن أفعالها، إنما تبرّر وتفسّر دواعي أفعالها من داخل المعايير التي بنيت بمنطق هذه اللغة في الأساس .

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.48.2025.702
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (48) November 2025
العدد (48) نوفمبر 2025

الرسالة الخامسة :

يكتب مرسل الرسالة الخامسة وكأنّه يواصل وتيرة الرسالة التي قبلها؛ لأنّ فيها ما تقاطع مع ألمه وقدره ، مما ولّد رغبة بالكتابة عن تلك الأحوال. إذ منحته تلك الرسالة التي صارحت فيها أخاها عن عملها بوصفها مومسا، الجرأة الكافية بأن يقول ما تعثّر كثيرا في بوحه لأبيه، يسترحمه بعاطفة الأبوّة بعد أن رفضه بسبب ميوله الجنسيّة التي يفكّ التباسها بوصفها مرضا أو خطأ أو انحرافا : (كان الكلام صعبًا دائمًا بيننا، وكنت أعتقد أنّ الحبّ الذي أكنّه لك كفيلٌ بحلّ عقدة لساني. كنت أحلم بالجلوس قريبا منك؛ بأخذ يديك بين يديّ، وإلقاء رأسي على كتفك، أحكي لك وتحكي لي. فقد تظلمنا الحياة وتزيدنا ابتعادًا، واحدنا عن الآخر. وأكثر ما أخشاه هو الندم والأسى على الفرص التي تضيع في الصمت وفي الإنكار_ 85). إذ " تفكّك الكتابة التواصل، ولا تكتفي بإعادة انتاج الكلام المقال، بل هي تنظّم قوله "[13]، أي أنّها تبنيه على طريقتها الخاصّة، من منطلق الضرورة التي ستحكم فيها على العالم الذي تريد فهمه. فحين يصعب الكلام وينقطع بين طرفين، فإنّ القيمة أو الرابط الاجتماعي سينحسر ويتلاشى ويذوب بينهما، أيضا. فما لا يعبّر عنه بالكلام، لا يمكن إدراكه بغيره، إذ يبقى معلّقا وعسيرا. لأنّ الحكي أو الكلام لا يحرّر الشيء الذي نتكلّم عنه فحسب، إنّما هو يعمل على خلق معناه بمقدار الوضوح الذي يلزمه ويستدعيه، وعندئذٍ، يمكننا انتظاره من تلك القيمة المقترحة به أي بوساطة الكلام. إذ بدت تلك الجملة الأولى في رسالته(كان الكلام صعبا دائما بيننا)، إشارة لا واعية منه قد اختزلت عمق الوعي بأهميته والحاجة إليه والرغبة فيه، التي لن يعادل الحبّ رمزيا تلك الحاجة أو يحقّق الكفاية اللازمة كي تُهمل و تعاف. ولتعقّد الموقف بينهما، فهو يستعين بواقع حال تلك المرأة التي في الرسالة، التي أراد من الإشارة إليها أن يرفع الحرج عن أبيه؛ بأنّ التطابق الإنساني بين قدره وقدرها، هو البرهان الطبيعي على تفاهة المستحيل : (المهم... المهم أنّي أعدتُ قراءة تلك الرسالة بعد أكثر من سنتين، قرأتها مرارا. كأنّي أعرف تلك المرأة، أو كأنّي أراها تطلب المغفرة من شخص ما، ولا تجدها. ليس فقط بسبب أنّ رسالتها لن تصل، بل لتلك الحاجة إلى أن يستمع إلينا إنسان، ثمّ يقرّر أن يسامحنا مهما فعلنا_ 86)، ثم يكتب : (فالرسالة موجّهة من امرأة إلى أخيها المسجون، وفيها تعترف له بما كانت أخفته عنه في حياتها، لأنّها وحيدة في هذه الدنيا. هذه الرسالة التي لم تصل، كأنّها الصوت الذي لم يسمعه أحد منذ البداية. منذ ولدت هذه المرأة ضاع صوتها. شعرتُ، وأنا أقرأ الرّسالة، بقرب قدر المرأة من قدري، وبتشابه أيضًا في مساريْ حياتينا، وتساءلتُ، كأنْ معها، عن جدوى أي مقاومة إن كانت مرسومة لنا أقدارنا منذ اللحظة الأولى لخروج أجسادنا الصغيرة من بطون الأمّهات _ 87)، تلك كانت طريقته المناسبة في لفت الانتباه، فبدلا من الاستغراق في مراكمة الحجج للإقناع، يستند، هنا، بالكلام عن قصّة ليست قصته، إلّا أنّها المعادل الموضوعي لمعاناته، وكأنّه يهوّن على نفسه من القراءة المتكرّرة لرسالتها التي توفر ضمنيا ضربا من التضامن والتعاطف والمشاركة، ويحكي ذلك في رسالته من المنطلق الإنساني نفسه الذي راهن به على إثارة الرأفة في قلب أبيه. على أنّ الإنسان، أي إنسان، هو أقلّ من أن يعرف نفسه أو يختار قدرها دوما. وأنّ أقصى ما يريده، هو، أن يحكي، ألّا يضيع صوته، وأن يُصغى إليه، وبذلك، فقط، يمكن أن يجد الإنسان المواساة المناسبة من أخيه الإنسان.

إذ يؤكّد المعنى ذاته حين يصف الناس الذين كان يقضي وقته معهم، وكأنّ اختلاف لغاتهم عنه لا يمنعهم من الكلام، إذ لن تبرّر استحالة الفهم بينهم الاستغناء عنه و استحالة فائدته :(فوسّعتُ أنا دائرة معارفي، وصار يعجبني أن أسمع لغات لا أعرفها، يتحدّث واحدهم إليّ بها وأنا أهزّ رأسي مبتسما، ولا أفهم شيئا ...

كانوا، لسبب ما، يتكلّمون معي كثيرا وطويلا، ربّما لأنّهم كانوا يعرفون أنّي لا أفهم لغاتهم. يتكلّمون إليّ من دون أن ينظروا ناحيتي؛ إذ من كان يريدني أن أسمع كان ينظر في وجهي ويتكلّم بالإنكليزيّة، أو ربّما اعتقدوا أنّي مجنون ولو قليلا، بسبب شكل وجهي لأنّي أعور. لذا، كانوا يبكون أمامي في اللّيل، أو يستحمّون عراةً ولا يخجلون منّي _ 93). إذ يصبح التشديد من طرفه، هنا، على الاختلاف بوصفه قيمة ثابتة مجهول كلامه، بأن يصبح سببه الوجيه في قوة الصلّة وتكريس التواصل، إذ عزّز ذلك بمثاله عن اختلاف اللغات بين الناس الذي لم

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.48.2025.702
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (48) November 2025
العدد (48) نوفمبر 2025

يكن الفهم هو الشرط الموضوعي للاتصال فيما بينهم. إذ ضرب بلغة رمزية مثلا عن رحابة العالم واتساعه، وبأن يقبله من دون حاجة العناء في فهمه .

الخاتمة

- اللغة حداثية منفتحة، لم تراكم فيها المجازات للإيحاء بطابعها الأدبي، عبّرت عن وعي خاصّ جدّا بوظيفتها التي لم تقتصر على كونها مادة الأدب المكتوب، إنّما قد نحت بالرواية كاملة إلى شكل جديد خرجت به من دوائر الكتابة الأدبيّة التقليدية .
- عمّق كتّاب هذه الرسائل حساسية مفرطة إزاء الكلمات، فاختاروا قوة التعبير بالكلام في اكتشاف عوالمهم وصيانتها من التداعي والانهيار بوصفه مخرجهم الآمن وأملهم الممكن في استرجاع كينوناتهم الخاصّة .
- دلّلت طرائقهم في الكلام على أنّهم قد تشكّلوا على النحو الذي أسّستهم فيه أنماط لغوية معينة، إذ كشفت تراكيب الجمل والكلمات عن تلك السلطة الواضحة للغة التي تكلّمتهم وتكلّموها.

الهوامش

1. السيميائية وفلسفة اللغة، امبرتو ايكو، تر: د.محمد الصّمعي، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، ط1، 2005م : 112 .
2. ينظر : ن : 356.
3. التركيب اللّغويّ للأدب/بحث في فلسفة اللّغة والاستطيقا، د. لطفي عبدالبديع، دار المريخ للنشر، الرياض، 1989م : 199 .
4. فكر اللّغة الروائي، فيليب دوفور، تر: هدى مقنّص، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، ط1، 2011م : 386 .
5. مختصر التحليل النفسي، سيغموند فرويد، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1986م : 29 .
6. فكر اللغة الروائي : 380 .
7. ن : 386 .
8. ينظر : ن : 317 .
9. عنف اللّغة، جان جاك لوسركل، تر: د. محمد بدوي، مراجعة: د. سعد مصلوح، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، ط1، 2005م : 218 .
10. جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي، إعداد وترجمة : عبدالمقصود عبدالكريم، المجلس الأعلى للثقافة، 1999م : 187 .
11. فكر اللّغة الروائي : 366.
12. عنف اللّغة : 403 .
13. فكر اللّغة الروائي : 425 .

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.48.2025.702
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (48) November 2025
العدد (48) نوفمبر 2025

المصادر

1. التركيب اللّغويّ للأدب/بحث في فلسفة اللّغة والاستطيقا، د. لطفي عبدالبديع، دار المريخ للنشر، الرياض، 1989م .
2. بريد اللّيل، هدى بركات، دار الآداب، بيروت، ط1، 2018 م .
3. جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي، إعداد وترجمة : عبدالمقصود عبدالكريم، المجلس الأعلى للثقافة، 1999م .
4. السيميائية وفلسفة اللغة، امبرتو ايكو، تر: د.محمد الصّمعي، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، ط1، 2005م .
5. عنف اللّغة، جان جاك لوسركل، تر: د. محمد بدوي، مراجعة: د. سعد مصلوح، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، ط1، 2005م .
6. فكر اللّغة الروائي، فيليب دوفور، تر: هدى مقنّص، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، ط1، 2011م .
7. مختصر التحليل النفسي، سيغموند فرويد، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1986م .